

## الأوضاع السياسية في أذربيجان في سنوات الاحتلال الاجنبي لإيران مقاربة تاريخية ١٩٤٥-١٩٤١

د. فرح صابر

كلية التربية للعلوم الإنسانية

جامعة بغداد

### الملخص:

تهيأ السنوات الممتدة بين الأعوام ١٩٤٥-١٩٤١ فرصة مناسبة أمام الباحثين لدراسة الأوضاع السياسية في أذربيجان إيران وأثر ذلك على التطورات في البلاد عموماً، ولاسيما في علاقتها بالاحداث التي جرت في اجزاء اخرى من ايران شهدت ايضاً تحركات مماثلة خاصة في كردستان وعربستان ومناطق العشائر في جنوب وغرب البلاد.

ففي أيلول عام ١٩٤١ تنازل رضا شاه عن العرش لصالح نجله محمد رضا بهلوي، اثر الغزو البريطاني-السوفييتي المشترك لبلاده، في حين شهد أواخر عام ١٩٤٥ احداثاً عاصفة في شمال ايران وغربها تركت أثاراً بالغة في تاريخ ايران المعاصر استمرت حتى وقت لاحق، وتمثلت في الاعلان عن قيام جمهوريتين مستقلتين ذاتياً في كل من أذربيجان وكردستان.

تهدف الدراسة أيضاً الى تتبع وتحليل طبيعة الظروف التي رافقت تنازل الدكتاتور البهلوي عن الحكم ومجيء ولي عهده الشاب الى العرش، واثار ذلك على تحرك الشعوب غير الفارسية في ايران. فأن رحيل رضا شاه في ايران جاء ليسدل الستار على عشرين عام من الدكتاتورية الصارمة، وحاول الشاه الجديد ان يتلبس ثوب الليبرالية مبتعداً قدر الامكان عن صورة والده الأوتوقراطية، خاصة وأنه اعلن في بداية حكمه تعهده بمد يد الإصلاح الى المناطق التي عانت كثيراً من سياسة والده القومية المتعصبة.

كما تسلط الدراسة الضوء على اثر عوامل خارجية معينة رافقت السنوات الحاسمة في تاريخ الحرب العالمية الثانية، وتفاعلت نتائجها، بإبعادها الايجابية والسلبية، بصورة مباشرة مع الواقع الداخلي في ايران، ثم تحاول الاجابة عن ذلك السؤال المهم الذي يفرض نفسه بالحاح عند دراسة تحرك الاذريين في سنوات الحرب العالمية الثانية والمتعلق بذلك الأثر المتناقض الذي خلفته العوامل الخارجية، والمتمثل بوجود قوات الغزو الأجنبي في ايران، على طبيعة الاوضاع في أذربيجان.

الكلمات المفتاحية : (الأوضاع السياسية، أذربيجان، الاحتلال الاجنبي لإيران).

## **The political situation in Azerbaijan during the years of foreign occupation of Iran**

١٩٤٥-١٩٤١

**Historic approach**

**Dr.. Farah Saber**

**College of Education for the Humanities**

**Baghdad University**

Abstracts:

The years between 1941-1945 provided an appropriate opportunity for researchers to study the political situation in Iranian Azerbaijan and its impact on developments in the country in general, especially in relation to the events that took place in other parts of Iran that also witnessed similar movements, especially in Kurdistan, Arabistan, and tribal areas in the south and west country.

In September 1941, Reza Shah abdicated the throne in favor of his son, Muhammad Reza Pahlavi, following the British-Soviet joint invasion of his country, while the late 1945 witnessed stormy events in the north and west of Iran that left profound traces in the contemporary history of Iran that continued until a later time, represented by the announcement On the establishment of two independent republics in each of Azerbaijan and Kurdistan.

The study also aims to track and analyze the nature of the circumstances that accompanied the abdication of the Pahlavi dictator and the advent of his young crown prince to the throne, and its effects on the movement of non-Persian peoples in Iran. The departure of Reza Shah in Iran came to bring down the curtain on twenty years of strict dictatorship, and the new Shah tried to wear the dress of liberalism as far as possible from the autocratic image of his father, especially since he announced at the beginning of his rule his pledge to extend the hand of reform to the regions that suffered greatly from his father's national policy fanatical.

The study also sheds light on the impact of certain external factors that accompanied the decisive years in the history of World War II, and its results, with their positive and negative dimensions, interacted directly with the internal reality in Iran, and then tries to answer that important question that imposes itself with urgency when studying the movement of the Azeris in the years World War II and related to the contradictory effect of the external factors, represented by the presence of foreign invasion forces in Iran, on the nature of the situation in Azerbaijan.

Keywords: (political situation, Azerbaijan, foreign occupation of Iran).

## مدخل للدراسة:

لدراسة الاوضاع السياسية في اذربيجان ايران وأثر ذلك على التطورات في البلاد عموماً، ولاسيما في علاقتها بالاحداث التي جرت في اجزاء اخرى من ايران شهدت ايضاً تحركات مماثلة خاصة في كردستان وعربستان ومناطق العشائر في جنوب وغرب البلاد.

ففي ايلول عام ١٩٤١ تنازل رضا شاه عن العرش لصالح نجله محمد رضا بهلوي، اثر الغزو البريطاني-السوفييتي المشترك لبلاده، في حين شهد أواخر عام ١٩٤٥ احداثاً عاصفة في شمال ايران وغربها تركت آثاراً بالغة في تاريخ ايران المعاصر استمرت حتى وقت لاحق، وتمثلت في الاعلان عن قيام جمهوريتين مستقلتين ذاتياً في كل من اذربيجان وكردستان.

تهدف الدراسة أيضاً الى تتبع وتحليل طبيعة الظروف التي رافقت تنازل الدكتاتور البهلوي عن الحكم ومجيء ولي عهده الشاب الى العرش، واثار ذلك على تحرك الشعوب غير الفارسية في ايران. فأن رحيل رضاشاه في ايران جاء ليسدل الستار على عشرين عام من الدكتاتورية الصارمة، وحاول الشاه الجديد ان يتلبس ثوب الليبرالية مبتعداً قدر الامكان عن صورة والده الأوتوقراطية، خاصة وأنه اعلن في بداية حكمه تعهده بمد يد الاصلاح الى المناطق التي عانت كثيراً من سياسة والده القومية المتعصبة.

كما تسلط الدراسة الضوء على اثر عوامل خارجية معينة رافقت السنوات الحاسمة في تاريخ الحرب العالمية الثانية، وتفاعلت نتائجها، بابعادها الايجابية والسلبية، بصورة مباشرة مع الواقع الداخلي في ايران، ثم تحاول الاجابة عن ذلك السؤال المهم الذي يفرض نفسه بالحاح عند دراسة تحرك الاذريين في سنوات الحرب العالمية الثانية والمتعلق بذلك الأثر المتناقض الذي خلفته العوامل الخارجية، والمتمثل بوجود قوات الغزو الأجنبي في ايران، على طبيعة الاوضاع في اذربيجان. ففي الوقت الذي هياً هذا الوجود الاجنبي الظروف المناسبة لنشاط المعارضة، ولتحرك الاذريين في

إيران الذي دخل مرحلة جديدة في ظروف الحرب، إلا أنه (الوجود الأجنبي) تحول في الجانب الآخر إلى محدد لتحرك هذه المعارضة، وكابح لها في الوقت نفسه.

كذلك يهدف البحث إلى تبيان مكامن القوة ونقاط الضعف في المعارضة في صفوف الشعوب الإيرانية إبان تلك السنوات وأثار ذلك على تحركها لاحقاً، وهذا يقودنا إلى ملاحظة الدور الذي تؤديها التناقضات العرقية في المجتمعات النامية في التطور السياسي لهذه المجتمعات عبر ملاحظة بعض جوانب النظام السياسي والاجتماعي فيها كالقومية وبناء الدولة، ومشكلة الشرعية، وظاهرة عدم الاستقرار السياسي.

وتجدر الإشارة إلى أن الكثير مما يرد في هذه الدراسة بشأن الحركة الوطنية في إيران يصح إسقاطه بدرجة أو بأخرى على مجتمعات أخرى في الشرق الأوسط لالتقائها في البنى التاريخية والسياسية لها في أوجه عديدة، لاسيما بالنسبة لاشتراك هذه المجتمعات في احتوائها على أقليات عرقية، ولغوية ودينية تشكل على الدوام جزءاً من ظاهرة عدم الاستقرار السياسي في هذه المجتمعات لاعتبارات محددة و موضوعية.

### خلفية تاريخية

احتل تحرك الأذريين في إيران أهمية خاصة منذ وقت ليس بقصير. ومع مرور الوقت تعمقت هذه المسألة بحكم مجموعة من العوامل المتفاعلة فيما بينها، تأتي على رأسها سياسة التعسف التي مارسها القائمين على الحكم تجاه شعوب إيران، من جميع الأوجه السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وقد تجلّى ذلك بشكل خاص في سنوات الحرب العالمية الأولى. فقبل أن تضع الحرب أوزارها بدأت الحركة الوطنية الإيرانية التي كان نضال الشعوب غير الفارسية يؤلف رأس حربيها يومذاك، تعيش مرحلة حاسمة ظهرت بوادرها قوية في كيلان ومامزندران واذربيجان وكردستان<sup>(١)</sup>، وقد كان اتساع هذه الحركة وردود الفعل الداخلية والخارجية التي أثارته إلى جانب مواقف القوى الكبرى ومداخلتها في إيران في مقدمة العوامل التي هيأت الفرصة المناسبة أمام الجندي المازندراني الطموح رضا خان للقفز إلى كرسي الحكم، وليؤسس فيما بعد أسرة جديدة في إيران باسم الأسرة البهلوية.

شرع رضا خان<sup>(٢)</sup> قبل ان يتبوأ العرش بسنوات في اتخاذ اجراءات قاسية جداً لقمع الحركات والانتفاضات الثورية للشعوب غير الفارسية في ايران، فهو كقومي متطرف كان يسوده التجزؤ والانحلال اللذين كانا يسودان بلاده يومذاك، لاسيما بالنسبة للقلقل والاضطرابات التي كانت ترافق التحركات التي تقوم بها العشائر المتمردة، كما أن رغبته في فرض دكتاتوريته وسطوته كانت تحتم عليه التصرف بحزم ضد كل انواع المعارضة بغية اسكاتها خصوصا تلك المتعلقة بمطالب الشعوب غير الفارسية وحقوقها القومية. وقد نجح رضا خان في تحقيق هدفه الى حد بعيد. لذا فأن سنوات حكمه الدكتاتوري تعتبر هادئة نسبيا، وفي الظاهر على الأقل، في تاريخ ايران المعاصر. ولكن في الواقع كانت عملية التراكم الكمي للحقد المشروع في نفوس ابناء تلك الشعوب في تزايد مستمر، خصوصا بسبب تمادي العهد البهلوي في سياسته المتعصبة المبنية على تفريسه<sup>(٣)</sup>. لذا جات كلمات المتخصص الروسي في شؤون ايران م. س. ايفانوف مطابقة للواقع الى حد كبير حينما ذكر ما نصه:

" كانت ايران في عهد رضا شاه عبارة عن معتقل كئيب للشعوب، تستباح فيه ابسط حقوق الأقليات القومية " <sup>(٤)</sup>.

غير ان عواقب هذه السياسة تجلت مع الأحداث التي عصفت بايران اثر الغزو البريطاني - السوفييتي المشترك للأخيرة في آب ١٩٤١ بسبب علاقات رضا شاه الوثيقة بالمانيا النازية<sup>(٥)</sup>. انتهى الغزو باحتلال ايران في ٣١ آب ١٩٤١، واستمر الاحتلال البريطاني حتى عام ١٩٤٦، وكانت ايران خلالها مقسمة الى ثلاثة مناطق: هي منطقة الاحتلال البريطاني في الجنوب، ومنطقة الاحتلال السوفييتي وشملت المقاطعات الشمالية الخمس أذربيجان، وكيلان، ومازندان، واستراباد، و خراسان (باستثناء مشهد)، في حين بقيت المنطقة غير المحتلة في الوسط وتشمل مدن طهران واصفهان ومشهد خاضعة لسيطرة الحكومة المركزية<sup>(٦)</sup>.

بينت أحداث الأيام القليلة التي أعقبت غزو الحلفاء لايران، لرضا شاه مدى عجز نظامه وعزلته بصورة عامة، فأن جيشه، مؤسسته المفضلة ودعامة حكمه الرئيسية لم يؤد واجبه المطلوب تاريخيا في الدفاع عن الوطن، بل على العكس من ذلك انهار،

وألقى السلاح، ولم يسجل حضورا فاعلا الا في حالات محدودة جدا. كما ان الجماهير الايرانية لم تكن مستعدة للدفاع عن نظام مارس ضدها طويلا سياسة القهر الطبقي والقومي، وتكميم الاقواد لاسيما بالنسبة للقوميات غير الفارسية التي تم الغزو الاجنبي عبر مناطق سكتاها، الأذرية والكردية في الشمال، والعربية والتركمانية في الجنوب، وهي جميعها كانت تكن حقا دفيما ومشروعا تجاه رضا شاه بسبب سياسته العنصرية المقيتة تجاهها. فلا غرابة أن يقوم رؤوساء بعض العشائر العربية في الجنوب، والكردية في الغرب بابداء العون للبريطانيين، وان ترحب أوساطا أذرية وكردية مختلفة بقدوم السوفييت<sup>(٧)</sup>.

ولم يجانب الوزير المفوض الأمريكي في طهران الصواب حينما وصف عملية تنازل الدكتاتور البهلوي عن العرش، ومن ثم موته في المنفى، في تقرير سري "انها اثار ارتياحا لدى الايرانيين". رغم ذلك فان محمد رضا شاه واجه ظروف بالغة الصعوبة والتعقيد عند توليه العرش خاصة وان احتلال أجزاء واسعة من البلاد من قبل القوات الأجنبية، الى جانب انهيار الجيش الايراني قد أدت الى فقدان الحكومة المركزية هيبتها، وبالتالي سيطرتها على المناطق البعيدة عن العاصمة لاسيما تلك التي تقطنها المجموعات العشائرية القوية التي بدأت تطالب بالاستقلال الذاتي في مناطقها، مع ما رافق ذلك من تحركات لهذه العشائر، واضطراب حبل الأمن في مناطقها<sup>(٨)</sup>. فمثلا يصف تقرير للقتصل البريطاني في شيراز وضع العشائر في مقاطعة فارس كما يلي:

بسقوط رضا شاه فقد الجيش وحرسه مركزهم، وطُردوا من قبل العشائر، واحتفل المسجونون باستعادة حريتهم. ورأت الأسلحة المطمورة تحت التراب الشمس مرة أخرى، وتم تنظيفها باعتناء كبير، وتم شراء بنادق جديدة، البعض منها تم بيعه من قبل الجيش أو سُرق منه والبعض الآخر تم الحصول عليه من خلال غارات جريئة على مراكز الجيش البعيدة. اضافة الى ذلك كانت هناك بنادق الذين هربوا. وهكذا بدأ سباق اعادة التسلح مرة أخرى، وقد عاد (الخانات) زعماء القبائل الذين تم استبعادهم ونفيهم أو سجنهم الى قبائلهم لاعادة تنظيم امورهم مرة أخرى<sup>(٩)</sup>.

وعلق الوزير المفوض البريطاني في طهران بأنه ليس أمام الحكومة المركزية اذا ارادت الحفاظ على سلطتها السابقة في مناطق العشائر، وكبح جماح نزعات الاستقلال لدى هذه العشائر سوى العودة الى السياسة القديمة التي تقوم على اساس تأليب عشيرة على اخرى وابقاء الخلافات العشائرية مفتوحة<sup>(١٠)</sup>.

ولم تقتصر الفوضى وحالات الاخلال بالأمن على مناطق العشائر فقط، بل امتدت الى مختلف المناطق التي تقطنها الأقليات القومية في البلاد بحكم عوامل معروفة. ففي تقرير المفوضية العراقية بطهران جاء وصف الوضع العام داخل مدينة رضائية (ارومية) التي تقطنها اكثرية كردية - أذرية كما يلي :

أعلمتا قنصليتنا في تبرير ان حالة الامن في مدينة الرضائية ما زالت مختلة، وان حوادث الاعتداء والنهب في تزايد مستمر، بالنظر لعجز السلطات الايرانية في القبض على ناصية الأمور<sup>(١١)</sup>.

ومع ان الشاه بذل الوعود للجميع، وتعهد بضمان الأمن والمساواة لكل أبناء البلاد إلا أنه لم يطرأ تغيير ملموس على السياسة التي انتهجها والده تجاه الشعوب غير الفارسية رغم الاثار الخطيرة التي ولدتها تلك السياسة في تعميق مشاعر الاستياء والحقد المشروع في صفوف الاذريين والكرد والعرب، وغيرهم. وتحول الوضع الاقتصادي المتردي في سنوات الحرب الذي تمثل في الفقر والبطالة وارتفاع كلف المعيشة الى مستويات قياسية بلغت حتى عام ١٩٤٤ ٨٥٠% الى حافز اضافي دفع هذه الشعوب الى التحرك والاحتجاج علناً في حالات عديدة<sup>(١٢)</sup>. ومع ان جميع اجزاء ايران عانت من تعسف السلطة، وتسبب موظفيها، والصعوبات الاقتصادية التي رافقت ظروف الحرب الا ان اثار تلك الاوضاع، لعوامل موضوعية محددة، اتخذت طابعاً متميزاً في الاقاليم غير الفارسية رغم وعود ثاني ملوك الأسرة البهلوية في بداية عهده بمد يد الاصلاح الى تلك المناطق<sup>(١٣)</sup>. تلك الوعود التي تبخرت مع محاولات الشاه الجديد تثبيت اقدامه في السلطة .

كذلك فأن وجود قوات الاحتلال على الأراضي الايرانية ساعد هذه الشعوب على التحرك ضد حكامها، غير أن الحقيقة المهمة هنا انه في الوقت الذي كان هذا الوجود

عاملاً مساعداً لتحرك هذه الشعوب، الا انه من ناحية أخرى حد بشكل أو بآخر من إمكانية تحول هذه التحركات الى مرحلة الثورة الشاملة ضد النظام البهلوي. فقبل كل شيء كان من مصلحة الحلفاء لاسيما قوات الاحتلال سيادة الهدوء والأمن في ايران التي تحولت اراضيها إلى معبر مهم لنقل امدادات الحلفاء الى السوفييت<sup>(١٤)</sup>. لذا فإن التناقض بين القوى المحتلة، الانكليز والسوفييت غطت عليه في تلك المرحلة مواجهتها المشتركة للعدو النازي. ثم ان جهود القوى الديمقراطية الايرانية انذاك كانت منصبية على مناوأة النشاط الفاشي اساساً<sup>(١٥)</sup>، وضمن هذا الاطار يمكن دراسة تحرك الأذريين في ايران في سنوات الحرب العالمية الثانية.

### انتعاش الحركة الوطنية والمد الديمقراطي الجديد

مع اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية دخل تحرك الشعوب غير الفارسية مرحلة جديدة، وفي اطار متجدد تطورت اثاره اكثر مع انتهاء الحرب وظهر ذلك واضحا في ازربيجان، وكردستان، وعربستان، ومناطق اخرى من ايران.

عاشت ازربيجان التي فقدت طهران عمليا كل نفوذ لهل فيها مع دخول القوات السوفييتية اليها مخاضا ثوريا مهما في سنوات الحرب بشكل اعمق مما شهدته باقي مناطق ايران. ومرد ذلك لعدة اسباب ، فالوضع الاقتصادي المتطور نسبيا لازربيجان واتصالها الوثيق بالفكر الثوري الاوربي سواء عن طريق باكو او استانبول ترك بصماته على الوعي الفكري والسياسي للاذريين، هياهم لدور مهم وفاعل في مجمل الحياة السياسية لايران<sup>(١٦)</sup>. ولم تكن لسياسة الاضطهاد القومي الذي مارسه رضا شاه الذي كان يكن حقدا دفيناً ضد الازريين على حد تعبير احد الكتاب دورا قليلا في دفع الازريين الى مقدمة صفوف المناوئين للحكم البهلوي. وكما يروي شاهد عيان هو المؤرخ احمد كسروي في كتابه " احداث ازربيجان من شهر بوز ١٣٢٠<sup>(١٧)</sup> حتى اذرمه ١٣٢٥<sup>(١٨)</sup> ان سكان تيريز استقبلوا السوفييت بباقات الورد والهتافات<sup>(١٩)</sup>. لذا حاول محمد رضا بهلوي ان يتلافى عواقب سياسة والده تجاه الازريين، فقد صرح بعد تسلمه العرش مباشرة، على ضرورة اجراء الاصلاحات في ازربيجان على وجه الخصوص<sup>(٢٠)</sup>.



تجلى الاستياء الاذري في حالات عديدة وباشكال متباينة، فان الغزو السوفييتي وانسحاب الادارات الحكومية من المقاطعة خلق فراغ قوة في تبريز . هذا الفراغ مليء من قبل عدد من المتنفذين والاعيان في المدينة الذين رفضوا الاعتراف بالسلطة المركزية.

وطالبوا باستخدام الاذرية في المدارس الرسمية في الاقليم، كما شكلو ميليشيا من المتطوعين من خمسة الاف شخص جاؤا من صفوف المهاجرين الاذريين الذين كانوا قد عادوا من اذربيجان السوفييتية<sup>(٢١)</sup> ، في سنوات سابقة<sup>(٢٢)</sup> . وفي القرى الواقعة غرب اذربيجان ، اقامت تلك القرى مجالس مستقلة ورفضت دفع الضرائب وشكلت فرق الانصار، ولم تكف بطرد الجندمة بل والسلطات المدنية ايضا<sup>(٢٣)</sup> . واتخذت هذه الاجراءات مدى ابعد من ذلك عندما شرع الاذريون بل والسلطات في تشكيل جمعيات<sup>(٢٤)</sup> محلية لادارة شؤونهم . فبعد وقت قصير من تنازل رضا شاه عن العرش ظهرت الى الوجود "فرقة" كومونيست " (الفرقة او الجمعية الشيوعية) " و"فرقة" سوسيال ده موقرات" (الفرقة او الجمعية الاشتراكية الديمقراطية). غير ان اشهر هذه الجمعيات كانت "فرقة اذربيجان" (جمعية اذربيجان)<sup>(٢٥)</sup> .

اجتذبت الجمعية القوميين الاذريين، لا سيما المثقفين، وكان لسان حالها "نشره اذربيجان" التي كانت تصدر مرتين في الاسبوع باللغة الاذرية عدا الصفحة الاولى التي كانت تكتب بالفارسية<sup>(٢٦)</sup> .

كرست الجمعية عملها للحفاظ على اللغة الاذرية والتراث الاذري<sup>(٢٧)</sup> . كما شرعت باقامة ندوات تثقيفية، وعقدت اجتماعات جماهيرية ، فعلى سبيل المثال نظمت الجمعية في نيسان عام ١٩٤٢ احتفالا لاحياء ذكرى اثنين من رموز الاذريين القومية ، ستار خان وباقر خان<sup>(٢٨)</sup> . القيت خلال الحفل كلمات وقصائد حماسية ، تستذكر ماضي اذربيجان الثوري، وتمجد الوطن الاذربيجاني<sup>(٢٩)</sup> .

نشط حزب توده<sup>(٣٠)</sup> في تلك الاثناء، وبتاثير منه برز الى الوجود عدد من الجمعيات والاتحادات المهنية كان اشهرها "اتحاد كاركان اذربيجان" (اتحاد عمال اذربيجان) الذي انضم عدة اضرابات ناجحة خلال شتاء عام ١٩٤٣، فاضطر اصحاب

المعامل الى زيادة الاجور، ودعم اسعار الخبز التي تضاعفت ثماني مرات منذ منتصف عام ١٩٤١، وقد اورد القنصل البريطاني عن ضابط روسي قوله "ان الخطابات التي القيت ابان الثورة البلشفية كانت متواضعة قياسا بتلك التي سُمعت في معامل تبريز"<sup>(٣١)</sup>. كما قاد "اتحاد الفلاحين في اذربيجان" حملة قوية لتجنيد الفلاحين واقناع المزارعين بالحصول الا يتخلوا عن اكثر من خمس الحصاد الى مالك الارض. وقد نجح الاتحاد في حالات عديدة في مسعاه. ففي قرى قريبة من تبريز ارسل ثلاثون مالكا برقية الى الحكومة المركزية يحذرون فيها من انهم لن يكون لديهم من القمح ما يبيعهونه للدولة مالم تستخدم الجندرية القوة لجمع المحصول<sup>(٣٢)</sup>. ولم يختلف الامر في المناطق الاخرى ، ففي القرى الواقعة في غرب اذربيجان كانت الجندرية وممثلو الحكومة ومالكو الاراضي حذرين جدا من دخول المنطقة، وقد وُصفت راديكالية هذه القرى من قبل القنصل البريطاني الذي زار هذه المناطق وكتب معلقا:

لقد تعرض اولئك الفلاحون الى الاضطهاد القومي من قبل الجندرية والمسؤولين، وطالما احنوا رؤوسهم امام مالكي الارض بحيث تجدهم الان عندما يرون ان الحكومة غير قادرة على فرض النظام، ويرون خوف مالكي الارض من زيارة مناطقهم، فانهم على استعداد ان يتولوا كل شيء بايديهم دون الجندرية والمسؤولين والاقطاعيين<sup>(٣٣)</sup>. شهدت هذه الفترة ايضا انتعاشا واضحا للصحافة الاذرية ذات التقليد الثوري المعروف، وقد صدرت عدة صحف كانت اشهرها صحيفتا "ازير" و "اذريجان" اللتين راس تحريرهما على التوالي الثوري الايراني المعروف جعفر بيشوري<sup>(٣٤)</sup>. وعلي شبيستاري العضو السابق في حكومة خياباني<sup>(٣٥)</sup> واحد قادة توده في اذربيجان<sup>(٣٦)</sup>. وكونت الصحف الديمقراطية "جبهة الحرية" التي تأسست في صيف عام ١٩٤٣. وردا على ذلك قام سيد ضياء الدين طباطبائي واعوانه في العام التالي بتشكيل "جبهة الاستقلال" التي ضمت حوالي ٣٠ صحيفة يمينية<sup>(٣٧)</sup>.

مع اقتراب الحرب العالمية الثانية من نهايتها اتخذ التحرك الاذري طابعا اوسع، وعاد الاذريون الذين تميزوا على الدوام بدورهم النشط في الحركة الديمقراطية في ايران الى الصفوف الامامية للمناهضين ضد القوى اليمينية المحافظة<sup>(٣٨)</sup>. ففي اواخر عام

١٩٤٤ شهدت تبرز سلسلة من المظاهرات والتجمعات المناوئة للحكومة، ناشدوا خلالها الاخيرة الاستجابة لمطالبهم بفسح المجال امام الحريات الديمقراطية، والسماح باقامة الانجمنات التي نصت عليها القوانين الدستورية، وابعاد العناصر ذات الميول الفاشية عن اجهزة الدولة، وتقديم سيد ضياء الدين طباطبائي<sup>(٣٩)</sup> احد رؤساء الوزراء السابقين الى المحاكمة<sup>(٤٠)</sup> .

ولا يخلو من مغزى ان تركز الحملات الصحفية على شعار " ان ايران ليست فقط طهران ، وطهران ليست منطقة شمالي طهران"<sup>(٤١)</sup> (السكنية)<sup>(٤٢)</sup> . كما عكس عدد من المقالات مشاعر الاستياء التي كانت تنتاب الاذريين جراء سياسة الاضطهاد القومي . ففي مقال لصحيفة اذرية ورد مايلي : "بالرغم من ان الاذريين جميعا يعدون انفسهم ايرانيين فان رضا شاه كان يعاملهم كمواطنين من الدرجة الثانية"<sup>(٤٣)</sup> .

"ما هو السبب في سوء حظ اذربيجان؟ ان السبب الرئيس هو فقدان الوحدة داخل الامة الاذربيجانية. لقد استطاع الآخرون استغلالنا بسبب فرقتنا الداخلية، سنعيد قوتنا اذا وضعنا هذه الخلافات جانبا، واتحدنا ضد المستغلين في طهران".

"ما هو هدفنا الرئيس؟ لقد منعوا صدور صحيفتنا في طهران مدعين اننا ننادي بانفصال اذربيجان عن ايران، ان هدفنا الرئيس هو حماية حقوقنا الديمقراطية في استخدام لغتنا الام، ان اولئك الذين حاولوا تدمير لغتنا القومية يجب ان يغيروا من مواقفهم"<sup>(٤٤)</sup> .

ادخلت هذه التطورات الخوف في نفوس سلطات طهران، فشرعت بالتحرك سريعا بالتعاون مع قوى اليمين الاذرية، ففي اواخر العام ١٩٤٣ ظهر حزب (ايران بيدار) (حزب اليقظة الايرانية) ضم كبار التجار ورجال الدين الاذريين . وجاءت شكوك كثيرة حول اتصال اعضاء هذا الحزب بالسلطات البريطانية في ايران<sup>(٤٥)</sup> . هذا من جهة ومن جهة اخرى حاولت الحكومة استغلال اي فرصة لضرب القوى التحريرية في اذربيجان. ففي تموز عام ١٩٤٤ فتحت قوات الجندرية في تبريز النار على مقر "اتحاد كاركان اذربيجان" مما تسبب في سقوط عدد من القتلى والجرحى، وفي اواخر العام نفسه اطلقت هذه القوات النار على تجمعات عمالية في تبريز<sup>(٤٦)</sup> .

في الوقت نفسه لجأت السلطات الحكومية الى اجراءات غريبة في بابها. ففي العام ١٩٤٤ رفض المجلس تصديق عضوية بيشوري رغم حصوله على اصوات الاكثرية الساحقة من ناخبي تبريز في انتخابات العام ١٩٤٣. فاعلن الاذريون احتجاجهم على ذلك، وانتقلت اثار هذا الاحتجاج الى طهران حينما احتج ٦٠ صحفيا من محرري صحف العاصمة ضد قرار المجلس<sup>(٤٧)</sup> . وعندما اعلنت في العام التالي اسماء الاعضاء المنتخبين للمجلس البلدي في تبريز رفضت وزارة الداخلية الاعتراف بهم<sup>(٤٨)</sup> . وبلغت سياسة اللامبالاة التي انتهجتها السلطات الحاكمة تجاه مطالب الاذريين حدا جعلت رئيس الوزراء يعلن باستعلاء في خطاب له امام المجلس انه لا يعير مطالب الاذريين اي اهمية على الرغم من البرقيات المتتالية التي كان يبعث بها هؤلاء الى الحكومة والمسؤولين في طهران<sup>(٤٩)</sup> . وظهر هذا التجاهل واضحا حينما اعلنت ميزانية العام ١٩٤٤، اذ بلغت تخصيصات طهران عشرين ضعفا قياسا الى كل تخصيصات اذربيجان الغربية بالرغم من ان سكان الاخيرة كانوا يقدرون بثلاثة اضعاف سكان طهران<sup>(٥٠)</sup> .

مع ذلك لم تستطع طهران ان تستمر في تجاهلها الصارخ لمطالب الأذريين، لاسيما وان نشاط القوى الديمقراطية الاذرية بدأ يمتد ويتسع لينتقل بسرعة الى الريف الاذري، فمثلا في عام ١٩٤٥ اتخذت الحكومة قرارا يقضي بتقليص حصة الملاكين من منتج الارض بمقدار ١٥% كما اعلنت عن نيتها في القيام بتوزيع اراضي الدولة على الفلاحين<sup>(٥١)</sup> .

غير ان تلك الاجراءات ظلت شكلية في مجملها، ولم تنجح في دحض مشاعر الاستياء بين جماهير اذربيجان ، اذ استمرت التنظيمات المحلية والصحف "في احتضان الكره الاذربيجاني لطهران"<sup>(٥٢)</sup> . على حد قول باحث ايراني معاصر ، في حين تكهن السفير الامريكي في طهران الذي زار اذربيجان خلال تلك الايام ان السوفييت يستطيعون ، اذا ما اردوا استغلال مشاعر الاستياء الشعبي "انشاء مقر سوفييتي في اذربيجان"<sup>(٥٣)</sup> وهو توقع لم يكن على ما يبدو يخلو من الصحة. وقد تعززت هذه التوقعات مع انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة حينما اعلن الحزب

الديمقراطي الاذربيجاني الذي كان قد تشكل حديثا عن انفصال اذربيجان عن الحكومة المركزية، وتشكيل جمهورية اذربيجان المستقلة ذاتيا، التي دعمها السوفييت بقوة، وشكلت تلك الاحداث انعطافة مهمة في تاريخ ايران اللاحق.

### تقويم واستنتاج

قضى الغزو البريطاني-السوفييتي المشترك على دكتاتورية رضا شاه، وتولى العرش من بعده ابنه محمد رضا بهلوي ، وفي حين كانت السلطة خلال الستة عشر عاما من حكم الدكتاتور البهلوي مرتكزة بشكل واضح حول شخص واحد، والساحة السياسية هادئة، والهيكل الاجتماعي مسيطر عليه من قبل الدولة من خلال سيطرتها على مجموعات المصالح، وانهاؤها للصراعات الاجتماعية، واعادتها توحيد المجتمع . فان السنوات التي اعقبت عزله شهدت هزات اجتماعية، وازمات سياسية، وعواصف دبلوماسية، وادت الى شرح كبير في التركيب السياسي، والى وجود شكلين من اشكال الصراع الرئيسي ضمن التركيب الاجتماعي.

ومع ان عهد الشاه الجديد تميز الى حد ما عن عهد والده في امور عديدة، الا ان ذلك كان ناجما الى حد كبير عن تاثير العامل الخارجي، ولذا اتسم التغيير بطابع فوقي مجرد لم يكن من شأنه التأثير على اسلوب الحكم القائم سوى في خطوط غير اساسية، وظلت الدولة البهلوية اسيرة تناقضاتها سواء على مستوى النظام السياسي، او على مستوى المجتمع.

ومع ان احداث الحرب العالمية الثانية ونتائجها تركت اثارها على الجميع في ايران الا ان هذه الاثار خصوصا الصعوبات الاقتصادية، وتعسف السلطة، وتسيب موظفيها، وبحكم عوامل موضوعية محددة اتخذت طابعا متميزا في الاقاليم غير الفارسية، والاهم من ذلك كله ان تغييرا يذكر لم يطرأ على سياسة التعصب القومي التي انتهجها الشاه الجديد تجاه الاذريين وغيرهم طيلة سنوات الحرب العالمية الثانية. فلم يول محمد رضا شاه الاقاليم غير الفارسية الحد الادنى من الاهتمام المطلوب لانتشالها من مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية، رغم وعوده المتكررة في بداية عهده بمد يد الاصلاح الى تلك المناطق. ومن الطبيعي ان تولد هذه السياسة القصيرة النظر ردود

فعل عنيفة لدى الاذريين وتدفعهم للتحرك. وهكذا بدأ الاذريين، كغيرهم من شعوب ايران يعيشون مخاضا ثوريا مهما في سنوات الحرب ليدخلوا مرحلة جديدة، وفي اطار متجدد وتطور مستمر، رغم ان تحرك الاذريين لم يتخط في الواقع حدود ارهاصات ثورية كرد فعل مشروع على ممارسات النظام البهلوي الذي استهدف وجودهم القومي، وافتقدت الوعاء الايديولوجي والتنظيمي اللازمين لوضعها في اطارها الصحيح ضمن حركة المجتمع.

ورغم الاهمية التاريخية لتحرك الاذريين ضد السياسة المتعسفة للحكم البهلوي، بيد انها ظلت في سنوات الحرب دون المستوى المطلوب، مع ان الظروف التي استجدت يوم ذاك كانت مواتية تماما لضمان المصالح الاساسية للاذريين كغيرهم من شعوب ايران ، غير ان المداخلات الدولية والظروف التي رافقتها فرضت نفسها كعنصر حاسم في الموضوع.

ومع ذلك فان نضال الاذريين لم يذهب سدى ، فما ان وضعت الحرب اوزارها حتى عادوا للتحرك من جديد في اطار اعمق واشمل، ولينصب نضالهم في مجرى نوعي جديد تجلت اثاره في الاحداث العاصفة التي شهدتها اذربيجان بعد انتهاء الحرب مباشرة.

(١) للتفاصيل من هذه الحركات راجع حسين مكي، تاريخ بيست ساله ايران، چاپ اول، تهران، ١٣٢٣ ص ٦١-٧٣ ؛ احمد كسروي، تاريخ هيجده ساله اذربيجان، چاپ دوم، تهران، ١٣٣٣، ص ٥١-١٧٣، ١٩٨-٢٠٠١ ؛ كه مال مه زهه رنه حمه ، كوردستان له ساله كانى شه رى به كه مي جيهاندا، به غذا و ١٩٧٥ ، ل ٣٧-٤١ ؛ فوزي خلف شويل، ايران في سنوات الحرب العالمية الأولى، البصرة، ١٩٨٨، ص ٦٥، ٧١، ٨١.

(٢) قام رضا خان الذي كان عميدا في لواء القوزاق في شباط ١٩٢١ بالإشتراك مع صحفي موال للانكليز هو سيد ضياء طباطباني بانقلاب عسكري ضد أحمد شاه آخر شاهات القاجاريين (١٩٢٥-١٩٠٩). وعلى اثر الانقلاب أصبح رضا خان رئيسا لأركان الجيش، ثم وزيرا للحربية. وفي عام ١٩٣٣ تولى رئاسة الوزراء. وفي ١٣ كانون الأول ١٩٢٠ وضع المجلس (البرلمان) بدفع من رضا خان النهاية لحكم الأسرة القاجارية. انتخب بعدها رضا خان شاهاً لايران حيث

أدى اليمن الدستورية في ٢٥ كانون الأول ١٩٢٥، وتوج على العرش في ٢٥ نيسان عام ١٩٣٦. للتفاصيل راجع : نويخت، شاهنشاه بهلوي، قسمت اول، بلا، ص ٢٩-٣٥ ؛

M.R. Pahlavi, Mission for my country, London, 1961 , pp30-31.

(٣) كمال مظهر أحمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢١٨-٢١٩. (٤) Quoted in: M.S.Ivanov, Ochirk Istori Iran, Mooskva, 1925, P.325.

(٥) عن العلاقات الايرانية - الألمانية خلال العهد النازي راجع : نصيف جاسم الاحبابي، ايران والمانيا النازية ١٩٣٢-١٩٤٥، رسالة ماجستير ، كلية الآداب، جامعة بغداد، بغداد ، ١٩٨٩؛ محمد كامل محمد عبد الرحمن، سياسة ايران الخارجية في عهد رضا شاه ١٩٢١-١٩٤١، رسالة ماجستير ، كلية الآداب، جامعة بغداد ، بغداد، ١٩٨٦ ، ص ٩٣-٢٨٠، ١٠٣-٢٨٩.

(٦) G. Lenczowski, Russia and the West in Iran, Ithaca, 1949.p.70.

(٧) عبد الهادي كريم سلمان، ايران في سنوات الحرب العالمية الثانية، البصرة، ١٩٨٩، ص ٧١؛ R.Ramazani, Iran's Foreign Policy 1941-1973, Virginia, 1975, p.32.

(٨) Amin Saikal, The Rise and Fall of the shah, Princeton, 1980, p.26.

(٩) Quoted in : E.Abrahamian, Iran between two revolutions, Princeton, 1980, P.143.

(١٠) Quoted in Ibid. Pp.143-4

(١١) د.ك.و. الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي ، الملف ٧٤ الوثيقة ٦٤ ، ص ٨١ .

(١٢) R. Greaves, The Reign of Muhammad Riza Shah, in: H. amirsadegh (ed), Twentieth Century Iran, New York, 1977, P54.

(١٣) عبد الهادي كريم سلمان، ايران في سنوات الحرب العالمية الثانية، البصرة ١٩٨٦ ، ص ١١١ .

(١٤) تم نقل ملايين الأطنان من العتاد الحربي الى الاتحاد السوفييتي عبر الأراضي الايرانية للتفاصيل راجع عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ ايران السياسي في القرن العشرين الجيزة ، ١٩٧٣ ، ص ١٠٦ .

(١٥) طاهر خلف البكاء ، التطورات الداخلية في ايران ١٩٤١-١٩٥١ ، رسالة دكتوراه، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ١٣٨ .

(١٦) شكل الاذريون منذ العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر راس رمح الحركة الوطنية في ايران وتجلى دورهم الرائد في سنوات الثورة الدستورية ١٩٠٥-١٩١١ . للتفاصيل راجع :

E.G. Brown, the Persian Revolution of 1905-1907, London 1966;

كمال مظهر احمد ، المصدر السابق ، ص١٩٩-٢٢٣.

Avery, Op, Cit, P388. (١٧)

(١٨) "ماجري اذربيجان از شهر يور ١٣٢٠ تا اذرمه ١٣٢٥".

(١٩) مقتبس في: نصيف جاسم الاحبابي ، المصدر السابق ، ص١٥٠-١٥١.

(٢٠) عبد الهادي كريم سلمان ، المصدر السابق ، ص١١٤.

(٢١) كانت اعداد كبيرة من الاذريين قد غادرت ايران خلال العقدين الاول والثاني من القرن العشرين

الى الجزء الشمالي من اذربيجان الواقع ضمن الاتحاد السوفييتي سابقا، وخلال الثلاثينيات عاد الكثير

منهم الى ايران، غير ان رضا شاه الذي كان يرتاب منهم اشد الريبة عاملهم بقسوة متناهية ، اذ اوصد

ابواب العمل بوجههم ، بل انه منع سكنهم في المدن، لاعتقاده انهم قد خضعوا في مراكز هجرتهم

لعمليات "تنقيف شيوعية"

Abrahamiam, Op.Cit, P.175. (٢٢)

Ibid, P.386. (٢٣)

(٢٤) كانت تلك الجمعيات المنتخبة احياء لمثيلاتها التي ظهرت منذ ايام الثورة الدستورية في عدد

من المناطق الايرانية ، وكان اشهرها انجمن تبريز.

(٢٥) طاهر خلف البكاء، المصدر السابق ، ص١٣٠.

(٢٦) د.ك.و. الوحدة الوثائقية ، ملفات البلاط الملكي ، الملف ٤٩٩٤ ، الوثيقة ٣٠ ، ص٤٥.

A brahamian, Op.Cit, P.396. (٢٧)

(٢٨) كانا من ابرز زعماء الثورة الدستورية.

(٢٩) د.ك.و. الوحدة الوثائقية ، ملفات البلاط الملكي ، الملف ٤٩٩٤ ، الوثيقة ٣٠ ، ص٤٥.

(٣٠) "حزب توده ايران" (حزب الشعب الايراني) تشكل في ايلول عام ١٩٤١. وعقد مؤتمره العام

الاول في عام ١٩٤٤ ، يعده البعض امتدادا للحزب الشيوعي الايراني الذي كان قد ظهر في

العشرينيات، للتفاصيل راجع : ارج اسكندري ، دكتور اراني ومجلة "دنيا" خاطرت "دنيا" (مجلة) سال

دوهم، شماره ٤ ، ده وره ي دو هم ، زمستان سال ١٣٤٨: محمد طه علي الجبوري ، تاريخ الحزب

الشيوعي الايراني "توده" ١٩٤١-١٩٦٣ ، رسالة ماجستير ، معهد الدراسات الاسيوية والافريقية ،

الجامعة المستنصرية ، بغداد ١٩٨٨ ، ص٣٠-٣٥.

Abrahamian, Op.Cit P.391. (٣١)

Ibid, P397. (٣٢)



Quoted in : Ibid, P.396. (٣٣)

(٣٤) ولد ببشوري في تبريز ، ثم هاجر الى باكو في مرحلة مبكرة من حياته ، ومن هناك ساهم في تشكيل اول منظمة شيوعية في ايران عام ١٩٢٠ . أدى دورا بارزا في اثناء تشكيل جمهورية كيلان في شمال ايران (١٩٢٠-١٩٢١) اذ احتل منصب القوميسير فيها - ما يعادل وزارة الداخلية ، لجأ الى الاتحاد السوفييتي بعد سقوط الجمهورية، ثم عاد الى ايران سرا في عام ١٩٣٦ غير انه سرعان ما اعتقل من قبل سلطات رضا شاه . اطلق سراحه في عام ١٩٤١ مع دخول القوات السوفييتية الى شمال ايران. اختلف فيما بعد مع حزب تودة حول عدد من القضايا خصوصا بالنسبة للموقف من المسألة القومية في ايران. في عام ١٩٤٥ شكل الحزب الديمقراطي الاذربيجاني "قرقه، ديمقراط اذربيجان" ، ثم اصبح رئيسا لجمهورية اذربيجان ذات الحكم الذاتي التي اعلنها الحزب في العام نفسه ، هرب الى الاتحاد السوفييتي في بداية عام ١٩٤٧ مع سقوط جمهورية اذربيجان وتوفي =هناك في حادث سيارة مشكوك فيه. للتفاصيل راجع : سيد جعفر ببشوري ، ٣١ اذار ، اذربيجان "روزنامه تشويه سي : ١٣٤٠-١٩٦١ ، ص٥-٤١؛

E. Abrahamian, communism and Communalism in iran: the Tudeh and the Firaqahi Dimakrat, "International Journal of Middle East Stuiies, Vol. 1, No.4, October, 1970, P.315.

(٣٥) قاد الشيخ محمد خياباني انتفاضة شعبية في اذوبيجان في العام ١٩٢٠ واطلق على اذربيجان اسم "ازاديستان" او بلاد الحرية ، التقت حول حركته الاوساط الديمقراطية والثورية في ايران. غير ان الحركة وئدت بعد فترة وجيزة بتعاون وثيق بين البريطانيين في ايران والسلطات الحاكمة فيها. للتفاصيل : راجع : جند نفر ازديستان واشناسيان او ، شرح حال واقدمات شيخ محمد خياباني، برلين ، ١٣٠٤ ، ص٢٣-٢٥ ؛ حسين مكي ، تاريخ بيست ساله ايران ، ج ١ ، ص١٢-١٦ .

(٣٦) طرد فيما بعد من حزب توده لنشره مقالات عن المسألة القومية في ايران عدها توده متطرفة.

D.Wilber, Contemporary Iran, 1963, Pp,400-1, 1406-7. (٣٧)

Quoted in: M.S. Aliev (ed),Sovremenay Iran, Moskva, 1965, p.330. (٣٨)

(٣٩) اتهم سيد ضياء الدين بالتعصب القومي وتحريض الفرس ضد الاذريين.

M.S, Ivanov, Noveyshaya Istorია. Moscva, 1965, P.98;P Aliev, op. cit, (٤٠) p.330.

(٤١) منطقة يقطنها الاثرياء.

Quoted in : E. Abrahamian, Iran between two Revolutions, p.393. (٤٢)

Quoted in : Ibid p.393. (٤٣)

Quoted in: Ibid, P.176. (٤٤)

(٤٥) د.ك.و. الوحدة الوثائقية ، ملفات البلاط الملكي ، الملف ٤٩٩٤ الوثيقة ١١٣ ، ص ١٨٣ .

M.S. Ivanov, Robochi Class sovremennii Irana, Moscva, 1969, p217. (٤٦)

Avery, Op.Cit P.399; M.S. Ivanov, Ochirk Istorii Iran, Moscva, 1952, (٤٧)  
P.367.

M.S. Ivanov, Ochirk ... , p.367. (٤٨)

Aliev, Op.Cit, p330. (٤٩)

Abrahanian, Iran between two RevolutionS, p208. (٥٠)

A.I. Deomin, Selskaya Khozuistvo sovremennova Iran, Moskva, 1969, (٥١)  
p.175.

Quoted in: Abrahamian, Iran between teo Revolution, p.175-6. (٥٢)

Quoted in: Ibid, pp.175-6. (٥٣)

